المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا:

مخطط المحاضرة:

أولا: الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي

ثانيا: الشعر الجاهلي

ثالثا: أوليات الشعر الجاهلي

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي

خامسا: فنون الشعر العربي القديم

أولا: الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي:

الشعر العربي هو الشعر الذي عرف به العرب من سكان شبه جزيرة العرب، وهي البلاد الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من القارة الآسيوية بين خطي طول (35) و(60) درجة شرقا وخطي عرض (12) و(37) درجة شمالا، والتي يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، ويحدها من الشرق والغرب والجنوب سلسلة جبال بركانية، كما تتوفر على سهول وسواحل تختلف من حيث الاتساع والضيق، وبها هضبة داخلية تسمى الربع الخالي والنفوذ الكبرى والدهناء وهضبة نجد.[1]

وهذا التنوع في التضاريس وما تبعه من تنوع في المناخ، حكم على حياة العرب وأنشطتهم بالتنوع، كما ووجه أساليب الحياة عندهم بحيث عرفت مناطق منها ممارسة الزراعة لاستقرار الساكنة، وعرفت أخرى بالتنقل وباتخاذ الرعي مهنة سعيا منها للتغلب على ظروف المناخ القاسية، إضافة إلى سلسلة أخرى من الإجراءات منها: اللباس الخاص وتربية نوع معين من الحيوانات يتقدمها الجمل لقدرته على تحمل أعباء الصحراء ومشاق السفر الطويل، واتخاذ الخيام مسكنا لسهولة ترتيبها وحملها كلما دعت الحاجة للسفر.

وقد سنّ العرب لأنفسهم مجموعة من القوانين والنظم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار، فاتخذوا من القبيلة شريعة ودستورا يجمعهم تحت مظلة الولاء والعصبية لنظام واحد، ممّا ساعدهم على الاجتماع، قال عبد الرحمان عفيف: <<فالعصبية ضرورية لتثبيت الاستقرار في حياة القبيلة، لأن قوتها

[1]-عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م، ص: 18.

في بطن من القبيلة يجعل القبيلة تسلم أمر قيادتها إلى تلك العصبية، وبالتالي فإن نظام القبيلة السياسي يبقى مستقرا، ويبقى الحكم في يد تلك العصبية إلى أن توجد عصبية أقوى منها وعندما توجد أكثر من عصبية قوية في القبيلة الواحدة تنقسم القبيلة إلى أقسام صغيرة تستقل كل بإدارة شؤونها، وقد يؤدي تضارب مصالحها واشتباكها إلى اختلافها وتحاربها>>.[1]

وفي الشعر العربي من الشواهد ما تؤكد ولاء الفرد منهم لقبيلته كقول أحدهم:[2]

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ثانيا: الشعر الجاهلي:

هو الشعر المنسوب للعرب في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام. ويضم قصائد الفحول من الشعراء المعروفة بالمعلقات، وكذا ما نظمه العرب من قصائد ومقطوعات تعبر عن الحياة الجاهلية القبلية كتلك التي نظمها الصعاليك.

والشعر الجاهلي أفضل ما يمثل الحياة الجاهلية، فقد اتفق النقاد والمؤرخون على أن العرب لم تهتم بشيء من موروثها كاهتمامها بالشعر، لما وجدته فيه من أهداف، ولما حققه لها من غايات. قال الجبوري: << الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يعد بحق ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته، وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة، ومازال سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه بماضيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فني وموسيقى ولغوي كبير>>.[3]

والحقيقة نفسها يؤكدها القدامى، فقد قال العسكري: <<كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها>>.[4]

---

[1]– المرجع السابق، ص:45.

[2]–المرجع نفسه، ص:45.

[3]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1407هـ، 1986م، ص:121.

[4]– أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط 1، 1371 هـ، 1952 م، ص:138.

وقال ابن سلام: <<وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون به وإليه يصيرون>>، وقال عمر ابن الخطاب: <<كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه>>[1].

ونتيجة لذاك الاهتمام والإقبال، ترك الشعر أثرا واضحا على العرب ثقافيا، فقد ساعدهم على توحيد طباعهم وعاداتهم ومثلهم، كما صقل لغتهم ووحّد لهجاتهم، ولعل هذه أسمى غاياته –إضافة إلى تأثيره الاجتماعي– بحيث ساهم في إشاعة مثُلِ الكرم والضيافة والنجدة والرفعة وحماية العرض والقبيلة. وفي تاريخ العرب ما يؤكد صلتهم العميقة بالشعر، كما حدث مع بني أنف الناقة وقد قال فيهم الحطيئة:[2]

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوّي بأنف الناقة الذنب

وقصة الأعشى في مدح المحلق مشيدا بكرمه وعراقة نسبه حتى توافدت العرب عليه يخطبون بناته.[3] وحسان بن ثابت الذي أفسد على الحارث ابن كعب المجاشعي رهط النجاشي تطاوله:[4]

حار بن كعب ألا الأحلام تزجركم عنا وأنتم من الجَوفِ الجماخير

لا بأس لقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

ذوو التخاجؤ وأُمشُوا مشيةً سَجُحًا إن الرجال ذوو عصب وتذكير

لذلك كانت العرب –كما قال ابن رشيق– إذا نبغ فيهم الشاعر هللت وأقامت الأفراح،[5] لأنه أشبه ما يكون بجهاز إعلامي ضخم لشدة تنقل كلامه وانتشاره بين القبائل [6] بما يؤديه من مهام كالدفاع عن القبيلة وإشاعة أخبارها والإشادة ببطولاتها في حال الانتصار، والتخفيف عنها في حالة الانهزام.

---

[1]–ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة طه أحمد إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م، ص: 22.

[2]–ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1993م، ص: 45.

[3]–ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج 1، ص: 37. ينظر: عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص: 20.

[4]– ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، ص: 129. **الجماخير**: جمع جمخور الواسع الجوف كناية عن الضعيف. **المشي السجح**: اللين. **التخاجؤ**: التكبر والتبختر. **العصب**: شدة الخلق.

[5]–ابن رشيق: العمدة، ج1، ص: 53. عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، ص: 20.

[6]–عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، ص: 30.

وموضوع اهتمام العرب بالشعر له أكثر من دليل كحرصهم على روايته جماعات وفرادى بشكل يوحي أن فعل الرواية كان محكما ومهمّا ومضبوطا، تؤديه مجموعة معينة من الأفراد[1]، إضافة إلى ظهور طبقة من الرواة المحترفين الذين تفرغوا لرواية الشعر وجمعه من منابته الأصلية الفصيحة في البوادي والقبائل التي لم تدنسها لغات ولهجات أعجمية ولا ثقافات دخيلة أمثال حماد الراوية (ت 156 أو 164هـ) والمفضل الضبي (ت 170هـ) وخلف الأحمر (ت 180 هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (ت 146 هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ).[2]

كما حظي –على الصعيد الرسمي– باهتمام الخلفاء فحرصوا على أن يتعلمه أبناؤهم بجلب أشهر الرواة والحفظة حتى يتزود أبناؤهم بحظ وافر منه حفظا للغتهم وذاكرتهم، وزيادة في تثقيفهم.

ثالثا: أوليات الشعر الجاهلي:

من أوائل النقاد الذين حاولوا تحديد فترة زمنية لميلاد الشعر الجاهلي ابن سلام الجمحي بقوله: <<لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصّدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف...>>[3]، وكذا الجاحظ بقوله: <<وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، وأول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام>>[4]، ومن المحدثين نقرأ قول يحي الجبوري: <<ولابد أن يكون للشعر تاريخ طويل قطع فيه أشواطا من الصناعة والدربة حتى استقام واكتمل على هذا الشكل الموزون المقفى، ذي الأسلوب الموجز الجميل، والخيال الخصب، والتعبير الدقيق الذي لا لغو فيه وال تطويل، وفي لغته المتينة الجارية وفي أصول متسعة في ذلك الشعر، وإن المعلقات التي بلغت مرتبة كبيرة من النضج الفني، ونالت إعجاب القدماء والمحدثين، كانت نتيجة درية ومران طويل في صناعة الشعر.>>[5]

---

[1]– ينظر موضوع رواية الشعر: ابن رشيق: العمدة، ج1، ص: 178. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص: 27.

[2]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط11، ديسمبر 1960، ص: 146 وما بعدها.

[3]– محمد بن ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص: 35.

[4]– الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942، م1، ص: 84.

[5]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 127. وينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 188.

وهذا الذي قال به غيره من الدراسين ومنهم الرافعي.[1]

وفي الشعر الجاهلي ما يدل على أنه كان يحاكي نماذج سابقة عنه كقول امرئ القيس:[2]

خليلي عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وقول عنترة بن شداد:[3]

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي:

1/: الطابع البدوي:

صور ومعاني الشعر الجاهلي صحراوية بدوية تعبر عن حياة الصحراء مناخا ونباتا وحياة ومعيشة بكل تنوعاتها من استعارات وتشبيهات ومجازات، نلمح ذلك في تكرار الحديث عن الإبل والناقة، والخيام وما يتصل بها، والنباتات الصحراوية وهذه عماد الحياة الجاهلية البدوية. قال يحي الجبوري: <<ويستطيع المرؤ أن يفسر كل مظاهر الشعر ومعانيه وصوره وخياله ومفرداته اللغوية وموصوفاته ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقه وعاداته وعصبيته، على أنها أصداء للبيئة وتصوير لها، ولم يسلم من هذا الأثر حتى أولئك الذين سكنوا بيئات أخرى أو بعد بهم الزمان فعاشوا في قرون لاحقة، وذلك لأن الشعر الجاهلي –بمؤثراته– أصبح قدوة يحتذى ونموذجا يتبع ومثالا يحاكى...>>.[4]

ولكن بدوية الشعر الجاهلي وتماهيه في وصف بيئته الحسية جعلته بسيطا لا يبدو خصبا من ناحية الخيال، وهذا ما يؤكده قول حنا الفاخوري: <<الجاهلي –إلى ذلك كله– ضيق نطاق الخيال والتخيل بسبب اشتداد المحسوسية عنده وسيطرة المادية على مجمل كيانه. وهو بعيد عن الاستقرار الذي يفسح المجال للتأمل الطويل العميق. ومن ثم تراه يعمد إلى الصور القريبة التي تتعقب المحسوس في جزئياته، وتراه يكثف مادة تشبيهه وتصويره، فيتحول عنده الخيال إلى تراكم ألفاظ وتشبيهات أكثر مما

---

[1]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ربيع الآخر 1359هـ، ماي 1940م، ط1، ج2، ص: 15.

[2]–ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ، ص: 156. **عوجا:** أي اعطفا رواحلكما. **الطلل المحيل:** الذي مر عليه حول فتغير. **ابن خذام:** رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس وبكى عليها. ويروى: ابن حِذام وابن حمام.

[3]– ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ، 1992م، ص: 147.

[4]–يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 198.

ينطلق في عالم الخلق التصويري والابتكار الشخصي بعيد المدى. ولهذا تجد صورة عنيفة في أحيان كثيرة، وتراه يكثر من الاعتماد على المادة الصوتية في غرابة اللفظ ورنة الوزن والقافية>>.[1]

2/ الوضوح والصدق:

بساطة معاني الشعر الجاهلي ووضوحها لا تحتاج إلى من يدلل عليها خاصة وأنها تعبر عن الإنسان في أبسط انفعالاته وأصدقها، بلا فلسفة بعيدة ولا تعال على الواقع والأحداث، وهما دون شك من آثار البيئة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد يحكم علاقات الأفراد فيها، ولا قوانين ووسائل عيش معقدة تنعكس على التفكير والعقل، لذلك تمكنوا من نقل الأحداث والحديث عن الأيام والأماكن والأشخاص بواقعية وبمسمياتها دون مبالغة، أو خيال جارف يعمي الحقيقة ويبهمها. قال حنا الفاخوري واصفا ذلك: <<وأما صراحة التصوير وصدقه فهما من ميزات البداوة والطفولة، وهما لازمان للشعر الجاهلي في جميع فروعه وتشعباته. والصراحة تحمل البدوي على تسجيل الواقع كما هو في غير اعوجاج ولا محاولة إخفاء.>>[2]، لذلك كانت العرب ترفض المغالاة في المعنى، كحكمها على قول مهلهل:

فلولا الريح أسمعت من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

ومن مظاهره أيضا أن أغلب الصور الجاهلية حسية فيها تشخيص يجعل قارئها يستشعر الصحراء ويعيش أجواءها.

وإن كانت هذه المادية الواقعية جعلت صور الشعراء واحدة متشابهة قائمة على مبدأ التوليد، فإنها أدت دورها من الإيضاح والتأكيد على اتحاد الشعر الجاهلي وارتباطه زمنيا بفترة البداوة العربية وبفترة ما قبل الإسلام. ومن أدلة صدقه قول عمرو بن معد يكَرِبَ:[3]

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكنّ الرماح أجرّت

وقد أراد بذلك: <<قومي لم يطعنوا بالرماح فأثني عليهم، ولكنهم فرّوا فأسكتّ كالمجرّ الذي في فمه الجِرار>>.[4]

---

[1]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986، ص:162.

[2]– المرجع نفسه، ص:161.

[3]– ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط2، 1405هـ، 1985م، ص:72.

[4]– الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1998م، ط 7، ج 1، ص:214.

3/ دقة التعبير وحسن التصوير:

كثير من الشعر الجاهلي عبارة عن لوحات كاملة دقيقة التفاصيل، ولعل مقطع الطلل خير دليل على ذلك، وكذا مقطع وصف الرحلة ووصف الحيوان، على غرار وصف طرفة لفرسه ووصف زهير بن أبي سلمى لرحلة سفر قبيلته مع من يحب، ووصف الصعاليك لغاراتهم وآمالهم وآلامهم وحياتهم في المفاوز والغارات والجبال ومعاركهم ضد الموت والجوع والفقر. وفي ذلك قال يحي الجبوري: <<وتأتي أوصاف الجاهليين لوحات كاملات يوفرون لها كل أسباب الصور الدالة الموحية المؤثرة، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة، وحتى الصوت في كثير من الأحايين، نجد ذلك في وصف الطبيعة الصامتة ... ونجد ذلك كذلك في وصفهم للحيوان حين يبينون لون بشرته وحركته حين يمرح وحين يغدو في ذهابه بعيدا يقضي شهور الشتاء، وفي عودته ساعيا نحو الماء، في هروبه من الصياد وكلابه وفي مقاتلته هذه الكلاب وهو يفري صفاحها...>>.[1]

ويدل على نوعية الوصف عند الجاهليين وعلى واقعيته لاستنباطه من بيئتهم قول امرئ القيس في وصف فرسه:[2]

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله في وصف الطبيعة:[3]

أحار ترى برقاً كأنّ وميضه كلمع اليدين في حبَّيْ مكلَّلِ
يضيء سنا أو مصابيح راهب أهان السليط في الذُّبالِ المفتَّل

---

[1]–يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص:220.

[2]– ديوان امرئ القيس، ص: 118، 119.

[3]– المصدر نفسه، ص:121.

وقول طرفة بن العبد في فرسه:[1]

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مِرقالٍ تروح وتغتدي

وقوله:[2]

تلاقى وأحيانًا تَبينُ كأنها بَنائقُ غُرٍّ في قميصٍ مُقدَّد

وأتلع نهاض إذا صعّدت به كسكان بوصيّ بدجلة مصعَد

خامسا: فنون الشعر العربي القديم:

1/ الغزل:

الغزل من فنون الشعر العربي التي ارتبطت بمشاعر ناظميه ومتلقيه على السواء، وقد عرف تطورات وتغيرات عبر تاريخ العرب، وتلون بألوان الحياة العربية والأذواق بها.

ويقوم أكثر الغزل على الوصف والتشبيب؛ ويحمل بعضه ذكريات المغامرات الغرامية التي يتخللها الحوار. ولكنه لم يظهر فنا مستقلاً بذاته، حيث كان عند شعراء الجاهليين غرضا من الأغراض المتعددة التي تشتمل عليها قصائدهم، إذ يستهل به ومنه يتم التنقل إلى غيره من المعاني، فقد<<أدرك شعراؤنا في العصر الجاهلي بالحسّ والحدس الصادقين، فضل الغزل على الأغراض الأخرى، فجعلوه مفتتح القصائد ليلفتوا إليهم الأسماع، ولينفذوا من الأسماع إلى القلوب بلا عناء ولا استئذان. وربطوا الطلل بالمحبوبة، فكان هذا الربط أصدق الأدلة على وفائهم للوطن والسكن، وعلى جعلهم المرأة أقوى الوشائج التي تشدّهم إلى منابتهم في الحلّ والترحال>>.[3]

كما جاء أغلب غزلهم وصفا للجمال الخارجي: كجمال الوجه والجسم، لذلك بدا غارقا في المادية النابعة من صميم الطبيعة الجاهلية. وقد يعزى ذلك إلى الصرامة والرقابة المفروضتان على المرأة العربية آنذاك ما جعل فرص اللقاء قليلة، وحصر اهتمام الشاعر في المظاهر الخارجية، ولعله –أيضا– السبب الذي جعل أغلب الشعراء الجاهليين يقصرون حديثهم عن المرأة ضمن الحديث عن الديار والآثار التي سكنتها كما هو الشأن في المعلقات، إلّا إذا استثنينا الشعراء الذين سمح لهم اتصالهم بالدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية –بلاد الروم والفرس–، ومشاهدتهم جمال النساء من القيان والجواري، بالتغزل بأوصافهن في صور واضحة كما يظهر من شعر طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم والأعشى وامرئ

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص: 61– **العوجاء:** الناقة الضامرة التي لحق ظهرها ببطنها. **المرقال:** السريعة في سيرها خببا.

[2]– المصدر نفسه، ص: 70.

[3]–فرهاد ديو سالار معصومة بويا: دراسة الغزل في العصر الجاهلي، الأربعاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥.

القيس وغيرهم ممّن تفنن في وصف جمال المحبوبة، ومن نماذج هذا النوع من الشعر قول عمرو بن كلثوم التغلبي:[1]

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل أدماءَ بكرٍ تربعت الأجارع والمتونا

ذراعي بكر حرّة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

ويسجل النقاد تميز الغزل عند امرئ القيس وتحرره من العادات الاجتماعية، فقد عدوه أول من تعهر بالنساء من الشعراء، قال مصطفى صادق الرافعي: <<وكان العرب عموما في الجاهلية ماعدا النابغة وامرؤ القيس على سنة أقوامهم من الغيرة والأنفة. ولذلك ظهر النسيب فيهم طبيعيا. فقامت فيه الطلول والآثار، وتشوقوا بالرياح العاتية والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وبكوا على آثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الدائرة.>>[2]

وحجة ذلك أشعار كثيرة له كقوله:[3]

مهفهفة بيضاء غيرُ مُفاضَة ترائبها مصقولةٌ كالسجنجلِ

ثم شهد هذا الغرض تطورا في باقي العصور خاصة العصرين الأموي والعباسي، حيث عرف ظهور شعراء برزوا فيه بشكل لافت كعمر بن أبي ربيعة والشعراء العذريين أمثال جميل بن معمر في العصر الأموي، وأبي نواس وبشار بن برد وغيرهما في العصر الأموي، كما عرف انتشارا واسعا في الأندلس مرتبطا بحركة الغناء وبموجة التحرر التي شهدها المجتمع كما سيتم بيانه في محاضرات لاحقة.

---

[1]–أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص:221، 222.

[2]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:102.

[3]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:28. **المهفهفة:** خفيفة اللحم ليست رهلة ولا ضخمة البطن. **المفاضة:** المسترخية البطن. **الترائب:** جمع تريبة موضع القلادة من الصدر. **السجنجل:** وهي لفظة رومية وتعني: المرآة وقيل السبيكة من الفضة.

2/ الفخر:

الفخر من أغراض الشعر العربي، قال ابن رشيق: <<والافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح في المدح قبح في الافتخار...>>[1]

ظهر الفخر بقوة في الجاهلية لقيامه على مبدأ الفخر بالقبيلة وبالقوم، وهو ضرب من الحماسة يعني التغني بالفضائل والمثل العليا والفعال الطيبة، ويرد على ضربين: ضرب يركز على الفضائل المادية من قوة ونسب ومال وأولاد، وآخر يركز على الفضائل النفسية من كرم وحلم وشجاعة وأشهر ما ورد منه قول عمرو بن كلثوم في معلقته التي مطلعها:[2]

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

ففيها مقطع فخري تغمره الحماسة كقوله:[3]

أبا هند فلا تعجل علينا وأنذرنا نخبرك اليقينا

بأنّا نورد الرايات بيضا ونصدرهنّ بيضا قد روينا

وأيامٍ لنا غرٍّ طوالٍ عصينا المَلْك فيها أن نَدينا

وقول عمرو بن الأطنابة في قومه:[4]

غني من القوم الذين انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل

المانعين من الخنا جاراتهم والحاشدين على طعام النازل

والخالطين فقيرهم بغنيّهم والباذلين عطاءهم للسائل

والضاربين الكبش يبرق بيضه ضرب المجهجه عن حياض الآبل

---

[1]– ابن رشيق : العمدة، ج2، ص: 162.

[2]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:217.

[3]– المصدر نفسه، ص:224، 225.

[4]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي فنونه وخصائصه، ص:303.

ومن الفخر قول الأعشى في قومه مذكر بأيامهم وبطولاتهم وهو من معلقته "ودع هريرة":[1]

سائل بني أسد عنّا فقد علموا أن سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ

واسألْ قُشَيْراً وعبد الله كلّهم واسأل ربيعةَ عنّا كيف نفتعل

إنا نقاتلهم حتى نقتّلهم عند اللقاء إن جاروا وإن جهِلوا

3/ الهجاء:

الهجاء في أبسط تعريفاته سلب الآخر (المقصود به) كل المعاني التي هي في الغالب محور فخر العربي ومصدره كالكرم والشجاعة والجود والغنى وغيرها، لذلك اعتبره النقاد قديما نقيضا للمدح والفخر لقيامه على مبدئ سلب المهجو من كل فضيلة. قال الرافعي: <<لم يكن الهجاء عند العرب في اعتبار السباب والإفحاش، ولكنه سلب الخلق أو سلب النفس، أو فصل المرء من مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة وتركه عضوا ميتا يتواصفون ازدراءه ويحركه جسم الأمة وحركة جامدة كلما نهض أو تقدم>>[2]

والهجاء عند العرب قسمان: قسم يسمونه هجو الأشراف، ويقصدون به التعريض بالأحساب دون أن يبلغ السباب والفحش ويتجه صوب الأخلاق. وقسم يسمونه السباب، ويوجهونه للسفلة ممن يستحقونه، والأول أكثر ألما وإيلاما.[3] وقد وقع النهي عليه شرعا وعرفا، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <<من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر>>[4]، ولما أطلق عمر بن الخطاب الحطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر قال له: <<إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال:المقذع أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم...>>.[5]

وإن كان الهجاء ينافي أخلاق الإسلام الداعية إلى كف أذى اللسان على الناس، فإنه، حين يصوب ناحية التعيير بالأيام والمعارك، يعد وثيقة تاريخية مهمة خاصة إذا ورد منسوبا لحادثة معروفة.

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:303، 304.

[2]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:73.

[3]– ينظر: ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1، ص:546. ابن رشيق، العمدة، ج2، ص:189.

[4]– ابن رشيق : العمدة، ج2، ص: 189.

[5]– المصدر نفسه، ص : 189.

ويمس الهجاء الفرد كما يمس الجماعة إذا اتخذ القبيلة موضوعا له، وهذا أشدّ إيلاما للعربي، فقد روى ابن بسام أن علقمة بن علاثة بكى لما سمع بيت الأعشى:[1]

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائسا

وقد أهلك الشعر قبائل كثيرة كقول جرير يهجو الراعي النميري:[2]

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كما أساء قول النجاشي لقبيلة بني العجلان إساءة كبيرة:

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ العقب واحلب أيها العبد واعجل

وتسمى القصيدة "الفاضحة". ولمّا هدأت نار العصبية صار الهجاء غرضا كباقي الأغراض، لكن اشتهر في عصور أكثر من غيرها كالعصر الأموي الذي عرف عودة النقائض، فعاد الشعراء إلى عادة الهجاء وحمل راية ذلك جرير والأخطل والفرزدق. وغيرهم من شعراء العصر العباسي أمثال بشار بن برد، ودعبل بن علي الخزاعي، وابن الرومي ...

4/ المديح:

المديح موضوع من موضوعات الشعر العربي القديم قوامه الإشادة بالفضائل خاصة ما كان منه بعيدا عن التملق والتكسب، لصدوره عن عاطفة صادقة نحو الممدوح كما جاء في شعر زهير بن أبي سلمى، وقد خلدته مدائحه الصادقة فكان سبب تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه له على باقي شعراء عصره. ومن مدائحه في ساعيا السلام الحارث بن عوف وهرم بن سنان:[3]

سعا ساعيا غيظ بن مُرّةَ بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كلّ حال من سحيلٍ ومُبرَمِ

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:77.

[2]– ديوان جرير: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص:63.

[3]– التبريزي: شرح المعلقات العشر، ص:111، 112. **تبزل**: تشقق. السحيل: خيط واحد لا يضم له آخر.

والمدح كغيره من الأغراض يصدر عن دوافع تحكم معانيه وتوجه العاطفة فيه، وكلما ابتعد عن الطمع والرغبة كان أليق بصاحبه. قد اشتهر النابغة بالتكسب، حيث كان يمدح المناذرة والغساسنة لذلك الغرض، ومن مدحه قوله، ويعد من أجود المدح:[1]

ألم تر أن الله أعطاك سوْرة ترى كلَّ مليكٍ دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ثم وقع عليه الابتذال أكثر بما نفخ فيه من مبالغة وإغراق في العصور المتأخرة لمّا آلت الأمور إلى الخلفاء والأمراء في العصرين الأموي والعباسي، فصار المدح ميدانا يتبارى فيه الشعراء عند أبواب الساسة والقادة يتنافسون فيما بينهم طمعا ورغبة، وصار أكثر الشعراء ينظمون فيه. وظهرت أسماء كثيرة ارتبطت بالبلاط أمثال جرير والفرزدق والمتنبي، ويعد الأخير ظاهرة من حيث خصوصية مدحه وأكثره كان في سيف الدولة الحمداني، ومثاله قوله:[2]

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

وأن يكذب الإرجاف عنه بضده ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا

5/ الرثاء:

وهو من أغراض الشعر العربي، يتضمن في معانيه التعبير عن الفقد والحزن، إذ جاء عند اللغويين القدامى: رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية أي: يبكيه ويمدحه. والاسم المرثية. والمترثي: المتوجع والمفجوع.[3] وقد أدى كباقي الأغراض غايات العربي النفسية الفردية والاجتماعية، بحيث كانوا يقومون برثاء الأقارب والأبطال من فرسان قبائلهم، لذلك ارتبط بالفخر والحماسة، وقد اشتهرت الخنساء به في بكاء أخويها صخرا ومعاوية، ومن أقوالها:[4]

كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض على الخدين مدرار

---

[1]– ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968، ص:78.

[2]– ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص:3.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 286. ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 5، ص: 135.

[4]– ديوان الخنساء: دار صادر بيروت، لبنان، ص:49.

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد التُربُ أستار

تبكي خُنّاس وما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهْي مقتار

وإن صخرا لتأتمّ الهداة به كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

وأما معاني الرثاء فأغلبها بكاء الشجاعة والرفق واللين والكرم وطيب الأرومة والحلم ورجاحة العقل وقد اجتمعت في رثاء الخنساء كقولها:[1]

مُرّ الحوادث ينقاد الجليد لها ويستقيم لها الهيّابة البُومُ

قد كان صخر جليدا كاملا بَرِعًا جلْدَ المريرة تنْميه السلاجيمُ

فأصبح اليوم في رَمْسٍ لدى جدثٍ وسط الضريح عليه التَرب مركوم

خاتمة:

إذن، حفل الشعر الجاهلي خصوصا والعربي عموما بمواضيع شعرية كثيرة ترجمت مشاعر أصحابه ونقلت صورا حية عن نمط الحياة التي سادت في شبه الجزيرة العربية، لذلك يعد بحق مصدرا من مصادر المعرفة بالعصر الذي ينتمي إليها، وعكس مقدرة أصحابه الإبداعية وموهبتهم بقصائدهم التي تحولت عبر العصور إلى أرقى نماذج الشعر الفصيح.

[1]– ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1405هـ، 1985م، ص:68، 69. **البوم:** الأحمق. **البارع:** الفاضل الغالب. **السلاجيم:** الطوال. واحدها سلجم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942.

3- الجاحظ: البيبان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1418هـ، 1998م.

4- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

5- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

6- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.

7- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1993م.

8- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986.

9- ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1405هـ، 1985م.

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

11- ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م.

12- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

13- أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ.

14- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط11، ديسمبر 1960.

15- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج2.

16- ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، لبنان.

17- عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م.

18- ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ، 1992 م.

19-ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط2، 1405هـ، 1985م.

20- فرهاد ديو سالار معصومة بويا: دراسة الغزل في العصر الجاهلي، الأربعاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥.

21- ديوان امرئ القيس: تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ.

22- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، ربيع الآخر 1359هـ، ماي 1940م.

23- ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

24- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968.

25- عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.

26- أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط 1، 1371 هـ، 1952 م.

27- يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1407هـ، 1986م.